الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية و آدابها

التناسب في القرآن الكريم و أثره في التفسير
من خلال كتاب الظلال لسيد قطب
" ربع البقرة أنموذجا "

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس في اللغة العربية و آدابها

إعـداد:
حفيظة رحومة
عائشة جبالي
مروة لخويمس
مهنية حافي

إشراف الأستاذ :
زواري أحمد علي

السنة الجامعية : (1438 – 1439 هـ / 2017–2018 م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب متناسقة سوره وآياته متشابهة فواصله، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله الذي خُتمت به النبوات وكمُلت برسالته الرسالات، وتوالت عليه وعلى أله وأصحابه الصلوات و التسليمات والبركات.

وبعد...

فإنّ القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه, وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغا فريدا لا يدانيه فيه أي كلام آخر فألفاظ القرآن وآياته وسوره متعانقة ومتماسكة, وآخذ بعضها بأعناق بعض فتراها سلسة رقيقة عذبة متجانسة, أو فخمة جزلة متآلفة.

وعلى الرغم من كثرة سوره وآياته وتنوّعها, إلّا أنّ كلماته متآخية متجاوبة جرسا وإيقاعا ونغما. وهذا كله ممّا جعله كتابا سويّا, يأخذ بالأبصار , ويستحوذ على العقول و الأفكار. مثلما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلّهم يتقّون﴾[1].

يَعرِف هذا الإحكام والترابط في القرآن كل من تمعّن في التناسب الواضح فيه , فلا تفكّك ولا تخاذل ولا انحلال ولا تنافر بين الموضوعات المختلفة المتنوعة. فمن التشريع إلى عقائد إلى قصص إلى جدل إلى وصف... وهذا التناسب هو سرّ من الأسرار الدقيقة التي تتجلّى بها عظمة القرآن الكريم وإعجازه ، ومن هذا فإنّ موضوع بحثنا تحت عنوان:(التناسب وأثره في التفسير من خلال الظلال لسيد قطب "ربع البقرة أنموذجا").

[1]سورة الزمر الآية28.

ومما دفعنا لاختيار هذا الموضوع: أنه يجعل الدارس يعيش مع النص ببلاغة متناهية ودقة عالية ,ومراعاة لكل لفظة فيه فمن أول كلمة في النص إلى آخر كلمة فيه والباحث يتتبع أسرار الترابط والتناسب مما يجعل النص بعد طول معايشة وربط كلمة واحدة يشعّ منها بقية النص .

إن أهمية هذه الدراسة تتجلّى في أن الدراسة مرتبطة بكتاب الله عز وجل الذي هو أفق البلاغة الأرحب ,ومطلب مهم للباحثين للغوص فيه ,ومعرفة أسرار نظمه وتناسبه.

وأن مفهوم التناسب مازال ميدانه بكرا,بحاجة إلى كثير من الدراسات التطبيقية التي تطور المفهوم ,وآليات التناسب أعظم نص يمكن من خلال اختيار فكرة التناسب هو القرآن لأنه ينتقل بالبحث البلاغي من بلاغة الجملة إلى بلاغة النص .

وأن مفهوم التناسب دقيق جدا جاء مستفيد من نظرية النظم جاعلا الكلام نصا متماسكا مطلقا ومقصدا وخاتمة ,وفيه الدلالة الجلية على اعجاز القرآن الكريم ,الأنه يربط بين السور والآيات والكلمات ,فإذا هي حبات عقد مكتمل ,وأجزاء بنيان متصل تتجلى فيه أسمى الهدايات منظومة بأوثق الروابط والترتيبات .

وهدفنا من هذه الدراسة أن نبيّن أنّ القرآن الكريم مترابطة سوره وآياته وموضوعاته , ومهما تعددت وتنوّعت هذه الموضوعات فهي تهدف إلى غاية واحدة وهي إيصال الدين الصحيح.

ومن هذا نطرح بعض التساؤلات بحثا للإجابة عنها :

- ما هو التناسب ؟وما هي انواعه ؟
- من هو ابرز مفسر وظف علاقة التناسب في تفسيره؟

– وما هي أوجه التناسب بين سور ربع البقرة ؟

ستحاول هذه الدراسة الكشف عن هذه التساؤلات والإجابة عنها.

والمنهج الذي تتبناه هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الذي يعتمد في تحليله البياني على الاستقراء والتحليل لبنية النص القرآني من خلال التفسير.

من اهم الدراسات السابقة في هذا الموضوع :

التناسب القرآني عند برهان الدين البقاعي ,وهي رسالة دكتوراه ,للأستاذ الدكتور محمود توفيق محمد سعد طبعت باسم :"الامام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم".

التناسب البلاغي في سورة لقمان ,وهي رسالة ماجستير ,للباحث :موسى بن درباش الزهراني ,وقد خصص دراسته في التناسب البلاغي في سورة لقمان فقط دون سور القرآن الأخرى .

التناسب القرآني عند الامام البقاعي ,وهي رسالة ماجستير ,للباحث مشهور بن موسى مشاهرة قد قسم رسالته الى ثلاث فصول .

وقد اتبعنا في هذه الدراسة الخطة التالية :

مبحث تمهيدي: تعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: تعريف التناسب .

المطلب الثاني :انواع التناسب .

المطلب الثالث :التعريف بكتاب "في ظلال القرآن" وصاحبه .

المبحث الثاني :تناسب موضوعات سور ربع البقرة .

المطلب الأول :تناسب موضوعات سورة آل عمران .

المطلب الثاني :تناسب موضوعات سورة النساء.

المطلب الثالث :تناسب موضوعات سورة المائدة .

المطلب الرابع :تناسب موضوعات سورة الانعام .

المبحث الثالث :تناسب آيات سور ربع البقرة .

المطلب الاول :تناسب آيات سورة البقرة.

المطلب الثاني :تناسب آيات سورة آل عمران.

المطلب الثالث: تناسب آيات سورة الأنعام .

المبحث الرابع: تناسب مفاتيح سور ربع البقرة مع خواتيمها.

المطلب الأول: تناسب بداية سورة البقرة مع ختامها.

المطلب الثاني:تناسب بداية سورة آل عمران مع ختامها.

خاتمة.

قائمة للمصادر و المراجع.

فهرس للموضوعات.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة: كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي والبرهان في علوم القرآن للزركشي...

وقد واجهتنا عدة صعوبات أهمها:صعوبة فهم الموضوع في بداية بحثنا بالإضافة لضيق الوقت وتزامن اعداد البحث مع الدراسة والامتحانات.

وفي الخير نتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف لأنّه من اقترح علينا هذا الموضوع القيِّم والشائق الذي أفادنا كثيرا... ونرجو من الله عزّ وجلّ أن يكون تعبه معنا ونصحه لنا" كأنّنا أبنائه " . طيلة مشوارنا معه . في ميزان حسناته يا رب آمين.

والحمد لله أولا و آخرا وفي كل حال لأنّه وليّ التوفيق والقادر عليه, والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مبحث تمهيدي : تعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: تعريف التناسب

لغة : مفرد ، مصدر تناسبَ[1]، ويعني المناسبة[2]، ويقصد به التماثل والتشاكل ، فالمناسبة هي : المشاكلة[3] ، والمقاربة[4] .

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس : النون ، والسين ، والباء ، كلمة واحدة ، قياسها اتصال شيء بشيء [5]. ومنه النسب سمي لاتصاله به ، والنسيب : الطريق المستقيم لاتصال بعضه ببعض[6]. تقول : نسبت أنسب . وهو نسيب فلان ، ويقال : بين الشيئين مناسبة وتناسب : أي مشاكلة وتشاكل . وكذا قولهم : لا نسبة بينهما ، وبينهما نسبة قريبة[7].

ويقال : فلان يناسب فلانا أي يقرب منه[8] ويشاكله ، ومنه النسيب وهو القريب ، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس[9].

---

[1] أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، الجزء 3 ، عالم الكتب ، ط/1، 1429 هـ - 2008 م ، ص 2199.

[2] نشوان بن سعيد الحميرى اليمني ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، الجزء 10 ، تحقيق : حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر (دمشق) ، ط/1، 1420 هـ - 1999 م ، ص 659.

[3] أبو الفيض مرتضى ، الزَّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الجزء 4 ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، ص 265.

[4] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن .الجزء 3 ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة : 1394 هـ/ 1974 م ، ص 371

[5] . أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، الجزء 5 ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل -بيروت، ط/1 1411 هـ / 1991 م ، ص 426 . 524 .

[6] المرجع نفسه ، 5 / 426 . 524 .

[7] الزَّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، 4/ 265

[8] محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ،الجزء 1 ، دار صادر - بيروت ، ط/1 ، ص 755 ، والزَّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، 4 / 265.

[9] بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، الجزء 1 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط/1 ، 1376 هـ - 1957 م ، ص 35.

فالمناسبة (عند المتكلّمين والحكماء هي الاتحاد في النسبة وتسمّى تناسبا أيضا كزيد وعمرو إذا تشاركا في بنوّة بكر ، كذا في شرح المواقف وشرح حكمة العين في أقسام الوحدة ، وعند أهل البديع . وتسمّى أيضا بالتناسب والتوفيق والإتلاف والتلفيق ومراعاة النظير جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد)[1].

(والعقول البشرية تدرك أهمية المناسبة بين الأشياء المتجاورة والمتجانسة ، ولا يمكن إغفال أهمية التقارب بين الأشياء ، فهناك على وجه التأكيد علاقات بين الأضداد والنظائر ، وأحيانا تدرك تلك العلاقات إذا قام دليل يؤكدها أو يشير إليها ، وأحيانا لا تدرك تلك العلاقات ، لخفائها أو لعجز العقل عن إدراكها ، والعقول البشرية ليست متساوية في إمكاناتها ، فما يمكن إدراكه لدى البعض لا يمكن إدراكه لدى البعض الآخر ، للتفاوت في القدرات)[2].

اصطلاحا: أما من حيث الاصطلاح فإن مصطلح "التناسب" و "المناسبة" يستعملان في علم تفسير القرآن لبيان الترابط بين آيات القرآن الكريم وسوره ، ولذا عرف التناسب بأنه : (وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة ، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة ، أو بين السورة والسورة)[3] .

وبتعريف أشمل لهذا الارتباط ، نقول أن التناسب هو : (الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه)[4].

ويفسر الإمام السيوطي هذا الارتباط فيقول : (ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه)[5].

---

[1] محمد بن علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، الجزء 2 ، تقديم وإشراف ومراجعة : رفيق العجم الترجمة الأجنبية: جورج زيناني ، تحقيق: علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ط/1 – 1996م، ص 1646.

[2] . محمد فاروق النبهان . المدخل إلى علوم القرآن الكريم ، دار عالم القرآن – حلب . ط/1 ، 1426 هـ – 2005م ، ص 139.

[3] . مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ط/2 ،1421هـ – 2000م ، ص 96.

[4] مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، دار القلم ، دمشق ، ط/2 ، 1418هـ / 1997م ، ص 58.

[5] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن , 3/ 371 ، وبدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 1/ 35.

ويعرف الشيخ العزّ بن عبد السلام المناسبة قائلا : (المناسبة علم حسن ، ولكن يُشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره : فإن وقع على أسباب مختلفة لم يُشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر)[1].

أما العلامة البقاعي فيعرف التناسب أو المناسبة بقوله : (علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه)[2] .

وعرفه محمد بازمول بقوله : (معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض)[3].

ومن مجموع التعريفات نستنتج أن المناسبة ترتكز على أمرين اثنين هما ، الارتباط والترتيب بين المعاني في القرآن الكريم . ولعل كلمة الإمام الرازي هي أوضح كلمة وأدلها تعبيرا عن عظمة علم المناسبة ، حيث يقول : (وإن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)[4].

وعموما يبدو التوافق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للمناسبة . فكلاهما يعني : أن الآية وجارتها شقيقتان ، يربط بينهما رباط من نوع ما ، كما يربط النسب بين المتناسبين ، غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيتان أو الآيات متماثلة كل التماثل ، بل ربما يكون بينها تضاد ، أو تباعد في المعنى ، لكن هذا التضاد ، وهذا التباعد لا يمنعان الصلة ولا الرابط بينها ، وقد يظهر هذا ، فيتوصل إليه العلماء ، وقد يختفي عليهم ، وفي هذا مجال لتسابق الأفهام والمدارك.

(ومن هذا المنطلق حاول بعض العلماء البحث عن أوجه المناسبة بين الآيات والسور ، من حيث التجاور والتتابع ، أو من حيث تسمية أسماء السور . والمناسبة ليست أمرا محددا ، ولهذا تحتاج

[1] المرجع السابق ، 3 / 370 ، المرجع نفسه ، 1 / 37، ومناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ص: 97.

[2] علي إبراهيم سعود عجين ، التناسب في صحيح الإمام البخاري ، جامعة آل البيت ، المفرق ، المملكة الأردنية ، 2010م ، ص 5.

[3] المرجع السابق ، 3 / 370.

[4] محمد فاروق النبهان . المدخل إلى علوم القرآن الكريم ، ص 143

إلى قدرة وبديهة وحسن تأمل)[1] ، ولذا قيل : (المناسبة أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول)[2].

ف (علم المناسبة علم ذاتي لا يخضع لمعايير مادية ، فما كان واضح التقارب والتماثل كما هو الشأن في النظائر والأضداد واقتران المسببات بالأسباب والمعلولات بالعلل لا يحتاج إلى كثير جهد لوضوح أوجه العلاقة والترابط ، وما كان ظاهر الانقطاع والانفصال بين الآيات يحتاج إلى عمق نظر وحسن تأمل ، لإدراك وجه العلاقة واكتشاف ما غمض من أوجه الترابط.

ومن العوامل الأساسية في فهم أوجه المناسبة بين الآيات والسور أن يحيط المفسر بالقرآن، وأن يستوعب مقاصده وغاياته، وأن يفهم أغراضه وأساليبه، وأن ينظر للقرآن نظرة شمولية متكاملة، بحيث تكتشف التوجهات القرآنية، وتعلم أساليب القرآن في التربية والتوجيه)[3].

المطلب الثاني : أنواع التناسب

مما يسترعي اهتمام الدارس لكتاب الله ويشد انتباهه ؛ تلك العلاقات القائمة بين أجزائه وسوره وآياته , وما يوجد بينها من مناسبات تزيد من إعجازه وروعة نظمه وحسن ترتيبه وقوة سبكه . فالمتأمل لكتاب الله . تعالى . كلما وقف مع سورة من سوره يجد تناسقا عجيبا بين روعة اللفظ وسهولة النطق مع تجلي المعاني ويسرها , وأنها جاءت على قدر المعنى الذي تهدف إليه.

ويمكن أن نحدد التناسب في قسمين كبيرين هما : التناسب اللفظي والتناسب المعنوي ، ويندرج تحتهما العديد من الأنواع . كما ذكر الدارسون . ومن جملة هذه الأنواع ما يلي:

[1] المرجع السابق ، ص 139

[2] بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 1 / 35 ، و أحمد عمر أبو شوفة ، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ، دار الكتب الوطنية – ليبيا ، عام النشر: 2003 ، ص 252

[3] المرجع السابق ، 1 / 35.

1)التناسب بين أجزاء الآية الواحدة:

والتناسب بين أجزاء الآية الواحدة كما يكون من حيث اللفظ يكون أيضا من حيث المعنى ، فمن حيث اللفظ : وهو مناسبة اللفظ لألفاظ الآية ؛ مثل قوله تعالى : ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[1].

فقد جاءت الألفاظ يلائم بعضها بعضا ، وذلك بأنه أتى في الآية بألفاظ متناسبة في الغرابة :

فالتاء : أغرب ألفاظ القسم ، وذلك لأنها أقل استعمالا من الواو ، والباء .

وأتى بـ : (تفتؤا) ، وفتئ : أغرب صيغ الأفعال التي تفيد الاستمرار من أخوات (كان).

وأتى بلفظ (حرضا) : وهو أغرب ألفاظ الهلاك ، فاقتضى حسن الوضع في النظم ، أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها توخيا في حسن الجوار ، ورعاية في ائتلاف المعنى بالألفاظ ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع ، وتتناسب في النظم .

وجاءت هذه الألفاظ غريبة لتتوافق مع حال يعقوب ـ عليه السلام ـ التي وصل إليها ، وإشفاق أبنائه على حاله ، وخشيتهم عليه من الهلاك[2].

وأما تناسب اللفظ من حيث المعنى ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[3] لما كان الركون إلى الظالم وهو الميل إليه والاعتماد عليه دون مشاركته في الظلم وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم فأتى بلفظ "المس" الذي هو دون الإحراق والاصطلاء[4].

ومن تناسب المعنى قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[5].

---

[1] سورة يوسف الآية 85.

[2] المرجع السابق ، ص 299 ، وانظر بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 3 / 378.

[3] سورة هود الآية 113.

[4] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، 3 / 300

[5] سورة المائدة الآية 38.

ففي الآية أن جزاء السارق والسارقة قطع أيديهما ، والتنكيل بهما جزاء سرقتهما وخيانتهما ، وهذا مراعاة ما يقتضيه التعبير والمعنى والسياق ، مع مراعاة الانسجام في الفاصلة ، لما لذلك من تأثير كبير على السمع ، ووقع مؤثر في النفس .

قال الأصمعي : (كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي ، فقرأت هذه الآية فقلت : ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سهواً ، فقال الأعرابي : كلام من هذا ؟ فقلت : كلام الله . قال أعد ، فأعدت : والله غفورٌ رحيم ، ثم تنبهت فقلت : ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال : الآن أصبت ، فقلت كيف عرفت ؟ قال : يا هذا عزيزٌ حكيم فأمر بالقطع ، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع)[1].

2)التناسب بين الآية في السورة:

فيبيِّن وجه المناسبة ، ويربط بين السابق واللاحق من آيات القرآن الكريم ، حتى يوضِّح أنه لا تفكك فيه ، وإنما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بحُجز بعض ، فارتباط الآية بما قبلها أو بعدها من الآيات قد يكون ظاهرا أو خفيا ، ومن وجوه الارتباط الظاهر :

ومن وجوه الارتباط بين الآية الثانية والآية الأولى ، بأن تكون ـ مثلا ـ الآية الثانية سببا للأولى ، أو مفسرة لها ، أو مؤكدة ، أو بدلا ، أو جاءت معترضة ، إلى غير ذلك من وسائل الارتباط . وهذا النوع لا يصعب الوصول إليه ممن كان له اطلاع ودراية بأصول التفسير.

3)التناسب بين الفواتح في السورة و الخواتيم:

فمن هذا النوع من التناسب نذكر ما جاء في سورة "القصص" ، فقد بدأت السورة بالحديث عن قصة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والوعد برده إلى أمه ، ودعائه ألا يكون ظهيرا للمجرمين ، ثم ختم الله السورة بتسلية رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخروجه من مكة ، ووعده بالرجوع إليها . قال

[1] محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي ، ص 1657.

تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[1] ، وقد عاد إليها فاتحا منتصرا ، وقيل له : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾[2].

4)تناسب إفتتاح السورة لمقاصدها

وجاء فيه ذكر اشتراك بعض السور في الافتتاح بالحمد لكن خالفت الفاتحة ، وهي أيضا تبدأ مثلهن بالحمد ، وهذا لتناسب الافتتاح مع المقصد في كل سورة ، فيقول السيوطي : (في تفسير الخويي ابتدأت الفاتحة بقوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فوصف بأنه مالك جميع المخلوقين ، وفي "الأنعام" و"الكهف" و"سبأ" و"فاطر" لم يوصف بذلك بل بفرد من أفراد صفاته وهو خلق السموات والأرض والظلمات والنور في "الأنعام" وإنزال الكتاب في "الكهف" وملك ما في السموات وما في الأرض في "سبأ" وخلقهما في "فاطر" لأن "الفاتحة" أم القرآن ومطلعه فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها)[3].

[1] سورة القصص الآية 85.

[2] سورة القصص الآية 86.

[3] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ،ص 388.

المطلب الثالث: التعريف بكتاب" في ظلال القرآن" و صاحبه

أولا: التعريف بالظلال:

كتاب "في ظلال القرآن" من الكتب الإسلاميه و الدينيه والتي تهدف الى شرح وتفسير القرآن الكريم.

جمع بين الجانب التحليلي والبلاغي والأدبي الاجتماعي، ويصنف كذلك من بين التفاسير الموضوعية، حيث يهتم بالوحدة الموضوعية للسورة. "وذلك بالكلام عن السورة ككل، من ناحية أغراضها العامة والخاصة، مع ربط موضوعاتها، بعضها ببعض حتى تبدو السورة في منتهى التناسق و الإحكام هذا الكتاب من أشهر كتب الأستاذ سيد قطب رحمه الله ، وقد فسّر فيه سيد القرآن في ثلاثين جزء ، على عدد أجزاء القرآن[1] .

ظهرت الحلقة الأولى من سلسلة في ظلال القرآن على شكل مقالة في مجلة المسلمون في فبراير (شباط) 1952م. وظهر الجزء الأول منه في 10\1952م ، ثم شرع في إصدار جزء كل شهرين فوصل عدد الأجزاء إلى ستة عشر جزء في يناير 1954م.

أكمل الشهيد سيّد كتاب الظلال في السجن في نهاية الخمسينيات ،وكان المراجع لكتابه "الشيخ محمد الغزالي" الذي أجاز جميع الظلال إلّا تعقيب الشيخ سيّد على سورة "البروج" الذي نشره الشهيد سيد بعد ذلك في كتابه "معالم في الطريق" ..في الفصل الأخير من الكتاب "هذا هو الطريق".

أصدر الشهيد الجزء الأول من الطبعة المنقّحة الأولى للظلال مطلع عام 1960عن "دار إحياء الكتب العربية" .

ووصل في التنقيح إلى الجزء الثالث عشر (نهاية سورة إبراهيم) سنة 1964م,

قُبض على الشهيد بعد ذلك وحُكم عليه بالإعدام قبل تنقيح الباقي من تفسيره, تسابقت دور النشر – بعد وفاة الشهيد سيد رحمه الله – في طبع هذا الكتاب ، فطبعته بعض دور النشر طبعات غير

[1] صلاح عبد الفتاح الخالدي, مدخل إلى ظلال القرآن,دار عمّار(الاردن),ط2, 1421هـ-2000م,ص64.

قانونية ،وكان الناس يتخطّفون الكتاب كلما ظهر حتى ينفذ من الأسواق بسرعة مذهلة ، فطُبع في السنة التي أعدم فيها : أربع طبعات ، وقيل سبع !! ثم اتفق الشيخ محمد قطب – شقيق الشهيد – مع "دار الشروق" لتطبعه طبعة شرعية في ست مجلدات ، ولازالت هذه الدار تحتفظ بحق نشر هذا الكتاب الذي تُرجم إلى الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والأوردية و الأندونيسية وغيرها من اللغات ، وهو من أكثر الكتب الإسلامية انتشاراً في هذا القرن والذي قبله ، ومن أكثر الكتب العربية التي ألفت في القرن الماضي في عدد الطبعات..

يعد هذا الكتاب تجديداً في علم التفسير لما حواه من نظرة سياسية إقتصادية إجتماعية حركية تفاعلية مع الواقع [1].

وهذا ما لا يوجد في كتب التفسير التي سبقته ،فالكتاب فتَحَ آفاقاً جديدة للمفسرين بعده ولجَوا خلاله ليتذكّروا بأن القرآن لم ينزل لزمان معيّن أو وقت معيّن أو ظرف معيّن ،بل هو صالح لكل زمان ومكان ومحرّك للبشرية وللأجيال المتعاقبة في كل فترة من فترات الحياة وفي كل مجال من مجالاته ،

هو الكتاب الذي طغى وهيمن على سائر الكتب والأفكار والنظريات البشرية ،

وهو كتاب حيّ مرِن ليس بالجامد ولا المتحجّر .

وهو الكتاب الذي فيه الجديد لكل عصر ولكل مِصْر لمن أمعن النظر فيه وتدبّره حق التدبّر..رحم الله الشهيد ، و جزاه عن أعماله خير الجزاء[2] .

ثانيا: التعريف بصاحب الظلال " سيد قطب"

أ) مولده:

ولد – رحمه الله– في قرية من قرى الصعيد اسمها (موشه) سنة (1906م) ، وهي تتبع محافظة أسيوط لأبوين كريمين متوسطي الحال ، يحملان سمت أهل الصعيد المصري من سمرة في البشرة وقسمات وجوههم تعكس بعض ما جبلت عليه فطرتهم من غيرة على العرض ، إلى الطيب المتأصل

[1] المرجع نفسه, ص66.

[2] المرجع السابق,ص67.

في أعماق نفوسهم ، والكرم الذي لا يفارقهم سواء في سني الجدب أو الخصب والنماء ، هذا فضلا عن العاطفة الفياضة الجياشة التي تربطهم بشدة بهذا الدين القويم ، ولقد ذكر الأستاذ سيد في مقدمة التصوير الفني في القرآن أن روح أمه المتدينة قد طبعته بطابعها ، وفي مقدمة مشاهد القيامة أنه قد تربى في مسارب نفسه الخوف من اليوم الآخر من خلال الكلمات والتصرفات التي كانت تنطلق من والده من خلال ممارسته أعماله اليومية ، والقيام بضرورياته من طعام وشراب وغيرها ، فتركت شخصية الوالدين بصماتها واضحة على قلبه[1].

ويقال إن أصل الأستاذ سيد قطب هندي ، وأن حسينا – جده الرابع– قد هاجر من الهند إلى أرض الحرمين حيث البيت العتيق ومثوى المصطفى صلى الله عليه و سلّم ، ثم هاجر إلى مصر واستقر في هذه القرية المصرية.[2]

ب)نشأته:

درج في مراحل الطفولة الأولى في قريته في أحضان والديه اللذين أرضعاه حب هذا الدين من خلال التدين الفطري الذي طبعت عليه هذه الأنفس ، ثم انتقل إلى القاهرة حيث يسكن خاله ، وواصل تعليمه ودخل دار العلوم ، وبرزت مواهبه الأدبية إبان دراسته ، وكان يكتب في عدة مجلات أدبية وسياسية منها (الرسالة) ، (اللواء الاشتراكية) ، ولقد كتب عنه أستاذه مهدي علام في تقديمه لرسالة (مهمة الشاعر في الحياة) التي ألقاها سيد قطب كمحاضرة في دار العلوم يقول: (لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سرورا وقناعة ، ويعجبني فيه جرأته الحازمة التي لم تسفه فتصبح تهورا ، ولم تذل فتغدو جبنا ، وتعجبني فيه عصبيته البصيرة ، وإنني أعد سيد قطب مفخرة من مفاخر دار العلوم.)

وفي الأربعينات تولى رئاسة تحرير مجلة (الفكر الجديد) لصاحبها محمد حلمي المنياوي ، ولقد بدت في هذه المجلة نزعة سيد قطب العدائية للملك فاروق ، وقد كان مجاهرا في نقده اللاذع حتى دس إليه

[1] عبد الله عزام, عملاق الفكر الاسلامي(الشهيد سيد قطب),مركز شهيد عزام الاسلامي, بيشاور(باكستان),ط1,ص6.

[2] المرجع نفسه, ص7.

فاروق من يطلق[1] عليه النار ، فأخطأه الرصاص ، ولقد صدر من المجلة ستة أعداد صودر عددان منها ثم اضطرت الحكومة لإغلاقها بعد ستة أعداد.

ولقد تتلمذ الأستاذ سيد قطب أدبيا على يد العقاد ، وكان يتردد على طه حسين ، وحمل لواء المعارضة للأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي ، وكان هجومه على الرافعي عنيفا حتى أن الرافعي لم ينج منه بعد موته فلقد نقد الرافعي إثر موته نقدا لاذعا فقام علي الطنطاوي يدافع عن الرافعي فقابله الأستاذ سيد برد مقذع حاد.

ولقد كتب في أوائل الأربعينات كتابيه الشهيرين: التصوير الفني في القرآن ، وقد أهداه إلى أمه ومشاهد القيامة في القرآن وأهداه إلى روح أبيه ، وكم كانت دهشة القراء عندما وجدوا أن الكتابين يخلوان من البسملة ، إذ لم يكن سيد قد اتجه الوجهة الإسلامية بعد[2].

[1] المرجع السابق, ص7.

[2] المرجع السابق, ص8.

المبحث الثاني : تناسب موضوعات سور ربع البقرة

لقد تناولت سور ربع البقرة موضوعات متنوعة من بينها التشريعات الاجتماعية والتشريعات الدولية وحقيقة الدين الإسلامي , كما احتوت على التشريعات التي تحلّل وتحرّم و غيرها من المواضيع المتعدّدة. و قد تحدّث سيد قطب في الظلال عن هذه المواضيع في كلّ سورة على حده مبيّنا أوجه التناسب و التناسق بينها, فهو عند بداية حديثه عن موضوع جديد يربطه بالموضوع الذي سبقه.

و قد تضمّن هذا المبحث أربعة مطالب:

المطلب الأول : تناسب موضوعات آل عمران

المطلب الثاني : تناسب موضوعات النساء

المطلب الثالث : تناسب موضوعات المائدة

المطلب الرابع : تناسب موضوعات الأنعام

المطلب الأول: تناسب موضوعات سورة آل عمران

صرّح سيد قطب بأنّ سورة آل عمران بأكملها ترتكز على ثلاثة مواضيع متناسبة و مترابطة فيما بينها, و هذه المواضيع هي:

الموضوع الأول: بيان معنى الدين و معنى الإسلام:

1 – قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾[1] ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٩ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠﴾[2].

2 – ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣﴾[3].

3 – ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4].

[1] سورة آل عمران الآية 2.

[2] سورة آل عمران الآية 18 – 20.

[3] سورة آل عمران الآية 23.

[4] سورة آل عمران الآية 31 – 32.

4-﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1].

5-﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾[2].

6-﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[3] .

الموضوع الثاني: تصوّر حال المسلمين مع ربّهم :

1-﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾[4] .

[1] سورة آل عمران الآية 52 – 53.

[2] سورة آل عمران الآية 83.

[3] سورة آل عمران الآية 85.

[4] سورة آل عمران الآية 7 – 9.

2-﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[1].

3-﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[2].

الموضوع الثالث: التحذير من ولاية غير المؤمنين، من الأمثلة:

1-﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[3].

[1] سورة آل عمران الآية 172 - 173.

[2] سورة آل عمران الآية 191- 194.

[3] سورة آل عمران الآية 28 - 29.

2-﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1]

3-﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَـٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2].

4-﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾[3]

في تعليق سيد قطب عن الموضوع الأول الذي يتحدث عن بيان معنى الدين والإسلام يقول:"فليس الدين كما يحدده الله سبحانه ويريده ويرضاه هو كل اعتقاد في الله ...إنما هي صورة واحدة من صور الاعتقاد فيه . سبحانه . صور التوحيد المطلق الناصع هدا القاطع : توحيد الألوهية التي يتوجه إليها البشر كما تتوجه إليها سائر الخلائق في الكون بالعبودية ، وتوحيد القوامة على البشر وعلى الكون كله فلا يقوم على الخلائق إلا الله تعالى، من ثم يكون الدين الذي يقبله الله من عباده هو " الإسلام " ، وهو في هذه الحالة الاستسلام المطلق للقوامة الإلهية، والتلقي في المصدر وحده في كل شأن من شؤون الحياة ، والتحاكم إلى كتاب الله المنزل من هذا المصدر ، وتباع الرسل الذين نزل

[1] سورة آل عمران الآية 100 - 101.

[2] سورة آل عمران الآية 149 - 151 .

[3] سورة آل عمران الآية 196 - 197 .

[3] سيد قطب, في ظلال القرآن , تح علي بن نايف الشحود ,ج2, دار الشروق , ط 31 , مصر,2011,ص 11.

عليهم الكتاب ، وهو في صميمه كتاب واحد، وهو في صميمه دين واحد الإسلام بهذا المعنى الواقعي في ضمائر الناس وواقعهم العلمي على السواء والذي يلتقي عليه كل المؤمنين اتباع الرسل ... كل في زمانه متى كان معنى إسلامه هو الاعتقاد بوحدة الألوهية والطاعة الأتباع في منهج الحياة كله بلا استثناء .

ويتكئ سياق السورة على هذا الخط ويوضحه أكثر من ثلاثين موضع من السورة." [1] كما ورد ذلك في الآيات أعلاه.

أمّا في تعليقه على الموضوع الثاني يقول :" فهو تصور حال المسلمين مع ربهم و إستسلامهم له وتلقيهم لكل ما يأتيهم منه بالقبول والطاعة والإتّباع الدقيق ".

وفي تعليقه على الموضوع الثالث يقول :" هو التحذير من ولاية غير المؤمنين ،والتهوين من شأن الكافرين من هذا التحذير ،وتقرير انه لا إيمان ولا صلة بالله مع تولي الكفار الذين لا يحتكمون لكتاب الله ، ولا يتبعون منهجه في الحياة "[2].

ثم يربط بين هذه المواضيع بقوله :" وهذه المواضيع الثلاثة العريضة متناسقة فيما بينها متكاملة في تقرير التصوير الإسلامي ،وتوضح حقيقة التوحيد ومقتضاه في الحياة البشريّة وفي شعورهم بالله ،وأثر ذلك في موقفهم من أعداء الله الذي لا موقف لهم سواه ، والنصوص في مواضعها من السياق أكثر حيوية وعمق إيحاء لقد نزلت في معمعان المعركة ، معركة العقيدة ومعركة الميدان ،والمعركة في داخل النفوس والمعركة في واقع الحياة ومن ثم تضمنت ذلك الرصيد الحي العجيب من الحركة والتأثير والإحياء ..."[3]

[1] المرجع السابق , ص 11.
[2] المرجع السابق , ص 12 .
[3] المرجع السابق , ص 13,

المطلب الثاني: تناسب الموضوعات في سورة النساء

تضمّ سورة النساء جانبا من الجهد الذي أنفقه الإسلام في بناء الجماعة المسلمة و إنشاء المجتمع الإسلامي و في حماية تلك الجماعة و صيانتها , و تعرض نموذجا من فعل القرآن في المجتمع الجديد... و قد ربط سيد قطب بين هذه المواضيع المتعددة التي تضمّنتها السورة. أخذنا في هذا المطلب على سبيل المثال الموضوعين الأولين من السورة و وضّحنا علاقة التناسب بينهما على حسب ما جاء في الظلال:

الموضوع الأول : تنظيم حياة المجتمع المسلم بإقامة الضمانات و إرجاعها إلى الله عزّ و جلّ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾﴾ إلى قوله تعالى :﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1].

الموضوع الثاني : تنظيم حياة المجتمع المسلم باستنقاذه من رواسب الجاهلية وتطهيره من الفاحشة .

[1] سورة النساء الآية 1- 14.

﴿ وَٱلَّتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾. إلى قوله تعالى :﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [1].

يعلّق سيد قطب على الموضوع الأول قائلا: :"مضى الشوط الأول من السورة يعالج تنظيم حياة المجتمع المسلم و استنقاذه من رواسب الجاهلية بإقامة الضمانات لليتامى و أموالهم و أنفسهم في محيط الأسرة و في محيط الجماعة , يعالج نظام التوارث في المحيط العائلي و يرد تلك الضمانات و هذا النظام إلى مصدرها الأساسي : و هو ألوهية الله للبشر و ربوبيته للناس و إرادته من خلقهم جميعا من

[1] سورة النساء الآية 15 – 23.

نفس واحدة و إقامة المجتمع الإنساني على قاعدة الأسرة و على أساس التكافل, و ردهم في كل شؤون حياتهم إلى حدود الله و علمه و حكمته ومجازاتهم على أساس طاعته في هذا كله أو معصيته."[1]

ثمّ يعقّب مباشرة بالحديث على الموضوع الثاني: "فأمّا الشوط الثاني فيمضي في تنظيم حياة المجتمع المسلم و استنقاذه من رواسب الجاهلية بتطهير هذا المجتمع من الفاحشة و عزل العناصر الملوثة التي تقارفها من الرجال و النساء مع فتح باب التوبة لمن يشاء من هذه العناصر أن يتوب و يتطّهر و يرجع للمجتع نظيفا عفيفا .. ثمّ باستنقاذ المرأة ممّا كانت ترزح تحته في الجاهلية من خسف و هوان و من عسف و ظلم حتّى تقوم الأسرة على أساس سليم ركين و من ثَمّ يقوم المجتمع على أرض صلبة و في جوٍّ نظيف عفيف .. و أخيرا ينظم جانبا من حياة الأسرة ببيان المحرمات في الشريعة الإسلامية و بيان ما ورائها من الحلال . و بهذا ينتهي هذا الشوط و ينتهي هذا الجزء كلّه"[2].

نلاحظ من خلال تعليق سيد قطب أنّ الموضوعين مترابطان و متناسبان و متلاحمان , فالموضوع الثاني مكمّل للأوّل , حيث يعالج الشوط الأول تنظيم حياة المجتمع المسلم بتخليصه من بقايا الجاهلية بإقامة الضمانات لليتامى و أموالهم , كما يعالج نظام التوارث في المحيط العائلي... ثمّ يأتي الموضوع الثاني مكمّلا تنظيم حياة المجتمع المسلم بتطهيره من الفاحشة و عزل العناصر الملوثة التي تقارفها من الرجال و النساء و فتح باب التوبة لمن شاء أن يتوب من هذه العناصر, وبذلك يتطهر المجتمع .

و هذا التناسب يظهر أثره جليّا في تفسير السورة , بحيث تُفسّر السورة . بوجود علاقة الترابط و التناسب . بشكل أوضح و أروع لأنه متكامل و متّحد فيما بينه.

[1] سيد قطب, في ظلال القرآن ,تح علي بن نايف الشحود , ج3, دار الشروق , مصر,ط 31 , 2011 , ص23

[2] المرجع نفسه, ص24

المطلب الثالث:تناسب موضوعات سورة المائدة

نجد في هذه السورة موضوعات شتى الرابط بينهما جميعا واحد هو الهدف الذي جاءت السورة لتحقيقه ومن بين الموضوعات التي وردت في هذه السورة والتي سوف نتطرق لها في هذا المطلب : الوفاء بالعقود وبعض أحكام الإحرام والموضوع الثاني تقرير الألوهية الواحدة إضافة إلى موضوعات أخرى.

الموضوع الأول :الوفاء بالعقود وبعض أحكام الإحرام :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَـٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَـٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]

[1] سورة المائدة الآية 1-3

الموضوع الثاني :تقرير الألوهية الواحدة

1-﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1]

2- ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[2]

يعلّق سيد قطب قائلا:"إن هذا التحريم والتحليل في الذبائح وفي الأنواع وفي الأماكن وفي الأوقات إن هذا كله من "العقود" وهي عقود قائمة على عقد الإيمان إبتداء فالذين آمنوا يقتضيهم عقد الإيمان إن يتلقوا التحريم والتحليل من الله من الله وحده ولا يتلقوا في هذا شيئا من غيره ..ومن ثم نودوا هذا النداء في مطلع هذا البيان وأخذ بعده في بيان الحلال والحرام ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾[3] وبمقتضى هذا الإحلال والإحرام , وبمقتضى إذنه هذا وشرعه –لا من أي مصدر آخر لإ استمداد من أي أصل آخر صار حلالا لكم ومباحا أن تأكلوا من كل ما يدخل تحت مدلول بهيمة الأنعام من الذبائح والصيد إلا ما يتلى عليكم تحريمه منها – وهو الذي سيرد ذكره محرما

[1] سورة المائدة الآية 15-16

[2] سورة المائدة الآية 17

[3] سورة المائدة الآية 1

.. إما حرمة وقتية أو مكانية وإما مطلقة في أي مكان وفي زمان .وبهيمة الأنعام تشمل الإبل البقر ;ويضاف إليها الوحشي والحمر الوحشية والظباء[1].

و يعلّق على الموضوع الثاني : " إن هذا الموضوع يتعلق بتقرير الألوهية الواحدة ونفي كل شرك أو تثليث أو خلط بين ذات الله سبحانه وبين غيره أو بين خصائص الألوهية وخصائص العبودية على الإطلاق الى جانب تبصير الجماعة المسلمة بحقيقة ذاتها وحقيقة دورها وطبيعة طريقها وكذلك توضيح التصورالإعتقادي وتخليصه من أساطير الوثنية وإنحرافات أهل الكتاب وتحريفاتهم"[2].

نلاحظ من خلال عرضنا لهذين الموضوعين أن هذه الموضوعات قد ارتبطت بالأصل الكبير الذي جاءت السورة لتحقيقه ألا وهو إنشاء أمة وإقامة دولة وتنظيم مجتمع على أساس من عقيدة خاصة وتصور معين وبناء جديد...الأصل فيه إفراد الله – سبحانه بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان وتلقي منهج الحياة وشريعتها ونظامها وموازينها وقيمها منه واحد بلا شريك وكل الموضوعات التي وردت في هذه السورة سواء التي ذكرناها أو لم نذكرها كلها على أن كل شيء يقوم به الإنسان هو" الدين " من ذبائح وأحكام الشعائر التعبدية والتشريعات الدولية التي تنظم علاقاتها بغيرها إلى جانب التشريعات التي تحلل وتحرم كل ذلك جاء حزمة واحدة في السورة يمثل معنى الدين كما أراد الله وكما فهمه المسلمون وأن الحكم به كله هو الإسلام وأن الذين لا يحكمون بما أنزل الله هم الكافرون الظالمون الفاسقون ...وأنهم إذن يبتغون حكم الجاهلية ولا يبتغي حكم الجاهلية المؤمنون المسلمون وهكذا يكون التناسب بين هذه الموضوعات قد ساهم بشكل كبير في تبيين الهدف الذي تريد هذه السورة إيصاله فمن خلال ارتباط هذه الموضوعات كلها بالأصل الكبير ألا وهو الدين الإسلامي وربط كل شيءيقوم به المسلم بالله و اعتباره عبادة وأن كل ما شرعه الله للناس من حلال وحرام وتشريعات كلها "الدين" ولو فسرت كل آية على حدا يكون المعنى غير الذي تريد السورة إيصاله.

[1] سيد قطب,في ظلال القرآن, ج4,ص13.

[2] المرجع نفسه, ص15.

المطب الرابع:تناسب الموضوعات في سورة الأنعام

إن الحشد الذي يتدفق به سياق السورة من التقريرات والمؤثرات وهو يواجه الجاهلية وأهلها في هذا الأنعام والنذور والذبائح وربطها بقضية الألوهية والعبودية وجعلها مسألة إيمان أو كفر ومسالة إسلام أو جاهلية هذا الحشد الذي سنحاول ان نستعرضه في هذا المطلب .

الموضوع الأول: التحريم والتحليل والأنعام والنذور

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرۡشًاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ

ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[1]

الموضوع الثاني:شمولية ملكية الله للزمان والمكان

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[2].

يقول سيد قطب في الموضوع الأول:" أن الشعائر الجاهلية شأنها شأن الأنعام والنذور على ما كان متبع في الجاهلية يربطها السياق بتلك القضايا الكبيرة بالهدى والضلال وإتباع منهج الله وإتباع خطوات الشيطان وبرحمة الله أو بأسه وبالشهادة بوحدانية الله أو عدل غيرها به وبإتباع صراطه مستقيما أو التفرق عنه لتصوير مدى السخف والتناقض في هذه الشعائر وبعضها للربط بين مزاولة البشر لحق التحريم والتحليل وقضية العقيدة الكبرى ولبيان أن إتباع أمر الله فيها هو صراطه المستقيم الذي يخرج من لا يتبعه عن هذا الدين "[3].

و يقول في الموضوع الثاني:" نجد في هذا السياق مدى الأهمية التي ينطويها هذا الدين بتخليص مظهر الحياة كله من ظلال حاكمية البشر في أي شأن جل أم حقر كبر أم صغر ربط أي شأن من هذه الشؤون بالأصل الكبير الذي يتمثل فيه الدين وهو حاكمية الله المطلقة التي تتمثل فيها ألوهيته في الأرض كما تتمثل ألوهيته في الكون كله بتصريف أمر هذا الكون كله بلا شريك ,فهو سبحانه

[1] سورة الأنعام الآية 141-147

[2] سورة الأنعام الآية 12.

[3] سيد قطب, في ظلال القرآن,ج6,ص19.

المالك لا ينازعه منازع ;ولكنه فضلا منه ومنة كتب على نفسه الرحمة كتبها بإرادته ومشيئته لا يوجبها عليه موجب ولا يقترحها عليه مقترح ولا يقتضيها منه مقتض إلا بإرادته "[1].

من خلال عرضنا لبعض النماذج من هذه السورة نلاحظ بأن سيد قطب قد عرض مواضيع هذه السورة كلها تحت أصل كبير يجب الرجوع إليه في كل صغيرة وكبيرة من حياة الإنسان من الأنعام والذبائح مثلا يجب إتباع أمر الله فيها ومن يفعل غير هذا فقد خرج عن دين الله ونجد كذلك أن لله الألوهية المطلقة في هذه الأرض وفي أي شيء صغيرا كان أم كبير وهنا يظهر التناسب جليا بين موضوعات هذه السورة وذلك من خلال تفسير سيد قطب المتمثل في ربط موضوعا سورة الأنعام بتلك الحقيقة الأصلية في طبيعة هذا الدين وأن كل جزء يتعلق بحياة الإنسان يجب أن يخضع خضوعا مطلقا لحاكمية الله المباشرة المتمثلة في شريعته وإلا فهو الخروج على حاكمية الله المطلقة حتى لو كانت جزئية صغيرة .

[1] المرجع نفسه,ص18.

المبحث الثالث :تناسب آيات سور ربع البقرة.

إنّ كلّ سورة من سور ربع البقرة تتناسب آياتها فيما بينها, وهذا من مظاهر اعجاز هذا الكتاب المعظّم سبحان الله, و سنعرض بإذن الله في هذا المبحث نماذج من هذا التناسب العجيب.

يتضمّن هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:تناسب آيات سورة البقرة

المطلب الثاني:تناسب آيات سورة آل عمران

المطلب الثالث:تناسب آيات سورة الانعام

المطلب الأول:تناسب آيات سورة البقرة:

تميزت سورة البقرة بوجود روابط بين آياتها فكل آية تكمل أختها وتترابط معها لكي توصل المعنى المراد إيصاله ومن بين الآيات التي تتناسب فيما بينها وتشكل وحدة متكاملة الآيات الأربعة الأولى من هذه السورة.

1-﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[1]

2-﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[2]

3-﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾[3]

4-﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[4]

يعلّق سيد قطب قائلا:" بدأت هذه السورة بهذه الحروف الثلاثة ألف لام ميم ترد هذه الأحرف في سورة قرآنية عديدة والغرض منها هي إشارة تنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف وهي في متناول المخاطبين به من العرب ولكنه مع ذلك الكتاب المعجز الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله .والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعا وهو مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ ﴾ ومن أن يكون ريب أو شك ودلالة الصدق واليقين كامنة في هذا المطلع ظاهرة في عجزهم عن صياغة مثله من مثل هذه الأحرف المتداولة بينهم.

[1] سورة البقرة الآية 1-2

[2] سورة البقرة الآية 3

[3] سورة البقرة الآية4

[4] سورة البقرة الآية 5

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الهدى حقيقته والهدى كيانه والهدى ماهيته ولكن لمن يكن ذلك الكتاب هدى ونورا ودليلا ناصعا مبينا للمتقين – فالتقوى في القلب هي التي تؤهله للإنتفاع بهذا الكتاب.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ التي تفتح مغاليق القلب له فيدخل ويؤدي دوره هناك – هي التي تهيء لهذا القلب أن يلتقي وأن يستجيب.

لابد لمن يريد أن يجد الهدى أن يجيء إليه بقلب سليم خالص ثمّ يجيء بقلب يخشى ويتوقى ويحذر أن يكون على ضلالة أو أن تستهويه ضلالة عندئذ يتفتح القرآن عن أسراره وأنواره [1]ويسكبها في هذا القلب الذي جاء إليه متقيا خائفا حساسا مهيأ للتلقي فالتقوى حساسية في الضمير وشفافية في الشعور وخشية مستمرة وحذر وتوق لأشواك الطريق.

ثم يأخذ السياق في بيان صفة المتقية وهي صفة السابقين من المؤمنين في المدينة كما أنها صفة الخلص من مؤمني هذه الأمة في كل حين.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ إن السمة الأولى للمتقين هي الوحدة الشعورية الإيجابية الفعالة – الوحدة التي تجمع في نفوسهم بين الإيمان بالغيب والقيام بالفرائض والإيمان بالرسل كافة واليقين بعد ذلك بالآخرة هذا التكامل الذي تمتاز به العقيدة الإسلامية وتمتاز به النفس المؤمنة بهذه العقيدة والجدير بأن تكون عليه العقيدة الأخيرة التي جاءت ليلتقي عليها الناس جميعا– لتهيمن على البشرية جميعا – وليعيش الناس في ظلالها بمشاعرهم وبمنهج حياتهم حياة متكاملة شاملة للشعور وللعمل والإيمان والنظام.

فإذا نحن أخذنا في تفصيل هذه السمة الأولى للمتقين إلى مفرداتها التي تتألف منها إنكشفت لنا هذه المفردات عن قيم أساسية في حياة البشرية جميعا.

[1] سيد قطب,في ظلال القرآن,ج1,ص20.

﴿ٱلَّذِين يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ فلا تقوم حواجز الحس دون الإتصال بين أرواحهم والقوة الكبرى التي صدرت عنها وصدر عناه هذا الوجود ولا تقوم حواجز الحس بين أرواحهم وسائر ما وراء الحس من حقائق وطاقات وخلائق وموجودات لقد كان الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في إرتقاء الإنسان عن عالم البهيمة جماعة الماديين في هذا الزمان كجماعة الماديين في كل زمان يريدون أن يعودوا بالإنسان إلى عالم البهيمة الذي لاوجود لغير المحسوس فيه.

﴿يُقِيمُون ٱلصَّلَوٰةَ ﴾فيتوجهون بالعبادة لله وحده ويرتفعون بهذا عن عبادة الأشياء يتوجهون إلى القوة المطلقة بغير حدود وينحنون جباههم لله لا للعبيد والقلب الذي يسجد لله حقا ويتصل به على مدار الليل والنهار ويستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود ويجد حياته غاية أعلى من أن يستغرق في الأرض وحاجات الأرض ويحس أنه أقوى المخاليق لأنه موصول بالخالق .

﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ فهم يعترفون إبتداء بأن المال الذي في أيديهم هو من رزق الله لهم لا من خلق أنفسهم ومن هذا الإعتراف بنعمة الرزق ينبثق البر بضعفات الخلق و التضامن بين عيال الخالق والشعور بالآصرة الإنسانية[1] وبالآخرة البشرية وقيمة هذا كله تتجلى في تطهير النفس من الشح وتزكيتها بالبر والإنفاق يشمل الزكاة والصداقة وسائر ما ينفق في وجوه البر وقد شرع الإنفاق قبل أن تشرع الزكاة ولأنه الأصل الشامل الذي تخصصه نصوص الزكاة ولا تستوعبه .

﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾وهذه خاتمة السمات الخاتمة التي تربط الدنيا بالآخرة والمبدأ بالمصير والعمل بالجزاء والتي تُشعر الإنسان أنه ليس لقى مهملا وأنه لم يُخلق عبثا ولن يترك سدى وأن العدالة المطلقة في إنتظاره ليطمئن قلبه وتستقر بلابله ويفيء إلى العمل الصالح وإلى عدل الله ورحمته نهاية المطاف .

[1] سيد قطب, في ظلال القرآن, ج1,ص22.

واليقين بالآخرة هو مفرق الطريق بين من يعيش بين جدران الحس المغلقة ومن يعيش في الوجود المديد الرحيب بين من يشعر أن حياته على الأرض هي كل ماله في هذا الوجود ومن يشعر أن حياته على الأرض إبتلاء يمهد للجزاء وأن الحياة الحقيقية إنما هي هنالك وراء الحيز الصغير المحدود[1].

وفي آخر المطاف وبعد إستعراض كل هذه الصفات التي حملتها الآيات الأولى من هذه السورة نرى بأن كل صفة من هذه الصفات ذات قيمة في الحياة الإنسانية ومن ثم كانت هي صفات المتقين وهناك تناسب وتسوق بين هذه الصفات جميعا هو الذي يؤلف منها وحدة متكاملة متناسقة فالتقوى شعور في الضمير وحالة في الوجدان تنبثق منها إتجاهات وأعمال وتتوحد بها مشاعر الباطنة والتصرفات الظاهرة وتصل الإنسان بالله في سره وجهره وتشف معها الروح فتقل الحجب بينها وبين الكلي الذي يشمل عالمي الغيب والشهادة ويلتقي فيه المعلوم والمجهول ومتى شفت الروح وإنزاحت الحجب بين الظاهر والباطن وفإن الإيمان بالغيب عندئذ يكون هوالثمرة الطبيعية لإزالة الحجب الساترة وإتصال الروح بالغيب والإطمئنان إليه ومع التقوى والإيمان بالغيب عبادة الله في الصورة التي إختارها وجعلها بين العبد والرب ثم السخاء بجزء من الرزق إعترافا بجميل العطاء وشعور بالإخاء ثم سعة الضمير لموكب الإيمان العريق والشعور بآصرة القربى لكل مؤمن ولكل نبي ولكل رسالة ثم يقين بالآخرة بلا تردد وهذه كانت صور الجماعة المسلمة التي قامت في المدينة يوم ذاك مؤلفة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وكانت هذه الجماعة بهذه الصفات شيئا عظيما في هذه الأرض وحياة البشر جميعا ومن ثم كان هذا التقرير﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ . وكذلك إهتدوا وكذلك أفلحوا والطريق للهدى هو هذا الطريق المرسوم[2].

[1] سيد قطب, في ظلال القرآن,ج1,ص23.

[2] انظر:المرجع نفسه,ص24.

المطلب الثاني : تناسب آيات سورة آل عمران

إنّ آيات سورة آل عمران كلّها مترابطة فيما بينها كما وضّح ذلك سيد قطب في الظلال. و قد تناولنا في هذا المطلب تناسب الآيات الأولى من هذه السورة:

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾[1].

يعلّق سيد قطب على هذه الآيات قائلا : ﴿ الٓمٓ﴾[2]: هذه الأحرف المقطعة : ألف, لام , ميم, نختار في تفسيرها . على سبيل الترجيح لا الجزم . ما اخترناه في مثلها في أول سورة البقرة " إنّها إشارة للتنبيه إلى أنّ هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف , و هي في متناول المخاطبين به من

[1] سورة آل عمران الآية 1- 9.

[2] سورة آل عمران الآية 1.

العرب , و لكنه مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله .. الخ

و هذا الوجه الذي اخترناه في تفسير هذه الأحرف في أوائل السور . على سبيل الترجيح لا الجزم . يتمشى معنا بيسر في إدراك مناسبات هذه الإشارة في شتّى السور. ففي سورة البقرة كانت الإشارة تتضمّن التحدي الذي ورد في السورة بعد ذلك ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]

فأمّا هنا في سورة آل عمران فتبدو مناسبة أخرى لهذه الإشارة .. هي أنّ هذا الكتاب منزّل من الله الذي لا إله إلاّ هو. وهو مؤلف من أحرف و كلمات شأنه في هذا شأن ما سبقه من الكتب السماوية التي يعترف بها أهل الكتاب . المخاطبون في السورة . فليس هناك غرابة في أن ينزل الله هذا الكتاب على رسوله بهذه السورة [2].

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ إلى غاية قوله تعالى :﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾[3].

هكذا تبدأ السورة في مواجهة أهل الكتاب المنكرين لرسالة النبي صلى الله عليه و سلّم و هم بحكم معرفتهم بالنبوات و الرسالات و الكتب المنزلة و الوحي من الله . كانوا أولى النّاس بأن يكونوا أول المصدقين المسلمين , لو أنّ الأمر أمر إقتناع بحجّة و دليل !.

هكذا تبدأ السورة في مواجهتهم بهذا الشوط القاطع , الفاصل في أكبر الشبهات التي تحيك في صدورهم , أو التي يتعمّدون نثرها في صدور المسلمين تعمّدا , و الكاشف لمداخل خذه الشبهات في

[1] سورة البقرة الآية 23.

[2] سيد قطب , في ظلال القرآن , ج2, دار الشروق , مصر , ط 31 , 2011 , ,ص 17.

[3] سورة آل عمران الآية 1 – 9.

القلوب و مساريها , و المحدّد لموقف المؤمنين الحقيقيين من آيات الله و موقف أهل الزيغ و الإنحراف ! و المصوّر لحال المؤمنين من ربّهم و إلتجائهم إليه و تضرّعهم له , و معرفتهم بصفاته تعالى[1] :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[2] .

وهذا التوحيد الخالص الناصع هو مفرق الطريق بين عقيدة المسلم وسائر العقائد , سواء منها عقائد الملحدين و المشركين , و عقائد أهل الكتاب المنحرفين : يهودا أو نصارى على إختلاف مللهم و نحلهم جميعا , كما أنّه مفرق الطريق بين حياة المسلم و حياة سائر أهل العقائد في الأرض ,فالعقيدة هنا تحدد منهج الحياة و نظامها تحديدا كاملا دقيقا .

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فلا شريك له في الألوهية .. ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾الذي يتّصف بحقيقة الحياة الذاتية المطلقة من كلّ قيد فلا شبيه له في صفته. ﴿ ٱلۡقَيُّوم ﴾ الذي به تقوم كلّ حياة و به يقوم كلّ وجود , و الذي يقوم كذلك على كلّ حياة و على كلّ وجود , فلا قيام لحياة في هذا الكون ولا وجود إلاّ به سبحانه.

و هذا مفرق الطريق في التصوّر و الإعتقاد , بين تفرّد الله سبحانه بصفة الألوهيّة و ذلك الركام من التصوّرات الجاهليّة سواء في ذلك تصوّرات المشركين ـ وقتها في الجزيرة ـ وتصوّرات اليهود والنصارى و بخاصّة تصوّرات النصارى .

و لقد حكى القرآن عن اليهود أنّهم كانوا يقولون : عزيز ابن الله كما أنّ الانحراف الذي سجّله ما يعتبره اليهود اليوم " الكتاب المقدّس " يتضمّن شيئا كهذا , كما جاء في سفر التكوين : الاصحاح السادس .

فأمّا انحرافات التصورات المسيحيّة فقد حكى القرآن الكريم منها قولهم : إنّ الله ثالث ثلاثة. و قولهم : إنّ الله هو المسيح عيسى بن مريم . و إتّخاذهم المسيح عيسى و أمّه إلهين من دون الله , و إتّخاذهم

[1] سيد قطب , مرجع سابق , ص 17.

[2] سورة آل عمران الآية 2.

أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله [1]. أمّا انحرافات عقائد المشركين فقد حكى القرآن عنها : عبادتهم للجن و الملائكة و الشمس و القمر والأصنام , و كان أقل عقائدهم إنحرافا من يقولون عن هذه الآلهة[2] :﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[3]!

فأما هذا الركام من التصورات الفاسدة و المنحرفة التي أشرنا إليها هذه الإشارات الخاطفة جاء الإسلام في هذه السورة ليعلنها ناصعة واضحة صريحة حاسمة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[4] فكانت مفرق الطريق في التصوّر و الإعتقاد .كذلك كانت مفرق الطريق في الحياة و السلوك .

إنّ الذي يمتلئ شعوره بوجود الله الواحد الذي لا إله إلا هو الحيّ الواحد الذي لا حيّ غيره , القيوم الواحد الذي به تقوم كلّ حياة أخرى و كلّ وجود . كما أنّه هو الذي يقوم على كلّ حيّ و كلّ موجود[5] ..

إنّ الذي يمتلئ شعوره بوجود الله الواحد الذي هذه صفته . لابد أن يختلف منهج حياته و نظامها من الأساس عن الذي تغيم في حسّه تلك التصوّرات التائهة المهوشة . فلا يجد في ضميره أثرا لحقيقة الألوهية الفاعلة المتصرفة في حياته !

إنه مع التوحيد الواضح الخالص لا مكان لعبودية إلاّ لله . و لا مكان للاستمداد و التلقي إلا من الله , لا في شريعة أو نظام , ولا في أدب أو خلق و لا في اقتصاد و اجتماع . و لا مكان كذلك للتوجه لغير الله في شأن من شؤون الحياة و ما بعد الحياة .. أمّا في تلك التصوّرات الزائغة المنحرفة

[1] سيد قطب , في ظلال القرآن, ص 18.
[2] المرجع نفسه, ص 19.
[3] سورة الزمر الآية 3 .
[4] سورة آل عمران الآية 2 .
[5] سيد قطب , في ظلال القرآن, ص 19.

المهزوزة الغامضة فلا متجه ولا قرار, و لا حدود لحرام أو حلال , و لا لخطأ أو صواب في نظام أو شرع, في أدب أو خلق و في معاملة أو سلوك .. فكلّها كلّها .. إنّما تتحدّد و تتّضح عندما تتحدّد الجهة التي منها التلقي و إليها التوجّه و لها الطاعة و العبوديّة و الاستسلام , ومن ثمّ كانت هذه المواجهة بذلك الحسم في مفرق الطريق :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[1]

و من ثمّ كان هذا التميّز و التفرد لطبيعة الحياة الإسلامية . لا لطبيعة الاعتقاد وحده . فالحياة الإسلامية بكلّ مقوماتها إنّما تنبثق انبثاقا من حقيقة هذا التصوّر الإسلامي عن التوحيد الخالص الجازم , التوحيد لا يستقيم عقيدة في الضمير ما لم تتبعه آثاره العملية في الحياة من تلقي الشريعة , التوحيد من الله في كل شأن من شؤون الحياة و التوجه كذلك إلى الله في كل نشاط و كل اتجاه [2].

وعقب هذا الايضاح الحاسم في مفرق الطريق ,بإعلان الوحدانية المطلقة لذات الله و صفاته , يجيء الحديث عن وحدانية الجهة التي تتنزّل منها الأديان و الكتب و الرسالات أي التي ينزّل منها المنهج الذي يصرف حياة البشر في جميع الأجيال :

﴿ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[3]

و تتضمّن هذه الآية في شطرها الأول جملة حقائق أساسية في التصوّر الاعتقادي . وفي الرد كذلك على أهل الكتاب و غيرهم من المنكرين لرسالة محمد صلّى الله عليه و سلّم , و صحة ما جاء به من عند الله.

[1] سورة آل عمران الآية 2.

[2] سيد قطب , في ظلال القرآن, ص 20.

[3] سورة آل عمران الآية 4.

فهي تقرّر وحدة الجهة التي تتنزّل منها الكتب على الرسل . فالله الذي لا إله إلّا هو الحيّ القيوم هو الذي[1] نزّل هذا القرآن . عليك . كما أنزل التوراة على موسى عليه السلام و الانجيل على عيسى عليه السلام من قبل , و إذن فلا إختلاط و لا إمتزاج بين الالوهية و العبودية , إنّما هناك إله واحد ينزل الكتب على المختارين من عباده , و هناك عبيد يتلقون و هم عبيد لله و لو كانا أنبياء مرسلين .

وهي تقرر وحدة الدين و وحدة الحق الذي تتضمّنه الكتب المنزلة من عند الله . فهذا الكتاب نزّله . عليك . بالحق .. مصدّقا لما بين يديه من التوراة و الانجيل .. و كلّها تستهدف غاية واحدة :﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ .. و هذا الكتاب الجديد " الفرقان " بين الحق الذي تضمّنته الكتب المنزلة . و الانحرافات و الشبهات التي لحقت بها بفعل الأهواء و التيّارات الفكريّة و السياسية .

وهي هي تقرر ضمنا . أنه لا وجه لتكذيب أهل الكتاب للرسالة الجديدة . فهي سائرة على نمط الرسالات قبلها . و كتابها نزل بالحق كالكتب المنزلة , و نزل على رسول من البشر كما نزلت الكتب على رسل من البشر . و هو مصدق لما بين يديه من كتب الله . يضمّ جناحيه على الحق الذي تضم جوانحها عليه . و قد نزّله من يملك تنزيل الكتب .. فهو منزل من الجهة التي لها الحق في وضع منهاج الحياة للبشر , و بناء تصوّراتهم الاعتقادية و شرائعهم و أخلاقهم و آدابهم في الكتاب الذي ينزله على رسوله .

ثمّ تتضمّن الآية في شطرها الثاني التهديد الرعيب للذين كفروا بآيات الله . و تلوح لهم بعزة الله و قوّته و شدّة عذابه ة انتقامه .. و الذين كفرا بآيات الله هم الذين بهذا الدين الواحد بإطلاقه .

و أهل الكتاب الذين انحرفوا عن كتاب الله الصحيح المنزل اليهم من قبل . فقادهم هذا الانحراف إلى التكذيب بالكتاب الجديد . و هو فرقان واضح مبين . هم أوّل المعنيين هنا بصفة الكفر , و هم أول من يتوجه اليهم التهديد الرعيب بعذاب الله الشديد و إنتقامه الأكيد [2].

[1] سيد قطب , في ظلال القرآن,ص 20.

[2] سيد قطب , في ظلال القرآن,ص21.

و في صدد التهديد بالعذاب و الانتقام يؤكد لهم علم الله الذي يند عنه شيء . فلا خفاء عليه و لا إفلات منه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1]

و توكيد العلم المطلق الذي لا يخفى عليه شيء و إثبات هذه الصفة لله سبحانه في هذا المقام .. هذا التوكيد يتفق أولا مع وحدانية الألوهية و القوامة التي افتتح بها السياق . كما يتفق مع التهديد الرعيب في الآية السابق .. فلن يفلت شيء من علم الله (في الأرض ولا في السماء) بهذا الشمول و الاطلاق . و لا يمكن اذن ستر النوايا عليه . و لا يمكن كذلك التفلت من الجزاء الدقيق, و لا التهرب من العلم اللطيف العميق[2] .

وفي ظلال العلم اللطيف الشامل الذي لا يخفى عليه في الأرض و لا في السماء يلمس المشاعر الإنسانية لمسة رفيقة عميقة, تتعلّق بالنشأة الإنسانية النشأة المجهولة في ظلام الغيب و ظلام الأرحام ,حيث لا علم للإنسان و لا قدرة و لا ادراك :

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[3]

يمنحكم الصورة التي يشاء و يمنحكم الخصائص المميزة لهذه الصورة , وهو وحده الذي يتولّى التصوير بمحض ارادته و مطلق مشيئته : (كَيۡفَ يَشَآءُ) .. (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) ..(ٱلۡعَزِيز) ذو القدرة و القوّة على الصنع و التصوير, (ٱلۡحَكِيم) الذي يدبر الأمر بحكمته فيما يصور و يخلق بلا معقب و لا شريك.

وفي هذه اللمسة تجلية لشبهات النصارى في عيسى عليه السلام و نشأته و مولده , فالله هو الذي صوّر عيسى (كَيۡفَ يَشَآءُ) .. لا أن عيسى هو الأب أو هو الله أو هو الإبن. أو هو الأقلوم

[1] سورة آل عمران الآية 5.

[2] سيد قطب, في ظلال القرآن, ص 21.

[3] سورة آل عمران الآية 6.

اللاهوتي الناسوتي . إلى آخر ما انتهت إليه التصورات المنحرفة الغامضة المجانبة لفكرة التوحيد الناصعة الواضحة اليسيرة التصوّر القريبة الادراك ! [1]

بعدئذ يكشف الذين في قلوبهم زيغ , الذين يتركون الحقائق القاطعة في آيات القرآن المحكمة و يتبعون النصوص التي تحتمل التأويل ليصوغوا حوله الشبهات , و يصوّر سمات المؤمنين حقا و إيمانهم الخالص و تسليمهم لله في كلّ ما يأتيهم من عنده بلا جدال :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]

و قد روي أنّ نصارى نجران قالوا للرسول صلّى الله عليه و سلّم ألست تقول عن المسيح : أنّه كلمة الله و روحه؟ يريدون أن يتخذوا من هذا التعبير أداة لتثبيت معتقداتهم عن عيسى عليه السلام و أنّه ليس من البشر إنّما هو روح الله . على ما يفهمون هم من هذا التعبير . بينما هم يتركون الآيات القاطعة المحكمة التي تقرر وحدانية الله المطلقة. و تنفي عنه الشريك و الولد في كل صورة من الصور.. فنزلت فيهم هذه الآية تكشف محاولتهم هذه في استغلال النصوص المجازية المصورة. و ترك النصوص التجريدية القاطعة.[3]

على أنّ نص الآية أعمّ من هذه المناسبة , فهي موقف الناس على اختلافهم من هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه صلّى الله عليه و سلّم من ضمنا حقائق التصور الإيماني . و منهاج الحياة

[1] سيد قطب , في ظلال القرآن , ص22.

[2] سورة آل عمران الآية 7.

[3] سيد قطب , في ظلال القرآن ,ص 22.

الإسلامية , و متضمنا كذلك أمورا غيبية لا سبيل للعقل البشري ان يدركها بوال الخاصّة , و لا مجال له أن يدرك منها أكثر ممّا تعطيه النصوص بذاتها .

فأمّا الأصول الدقيقة للعقيدة و الشريعة فهي مفهومة المدلولات قاطعة الدلالة, مدركة المقاصد . و هي أصل هذا الكتاب . و أمّا السمعيّات و الغيبيات . ومنها نشأة عيسى عليه السلام و مولده . فقد جاءت للوقوف عند مدلولاتها القريبة و التصديق بها لأنها صادرة من هذا المصدر " الحق" و يصعب ادراك ماهياتها و كيفياتها , لأنها بطبيعتها فوق وسائل الإدراك الإنساني المحدود.

و هنا يختلف النّاس . حسب استقامة فطرتهم أو زيغها . في استقبال هذه الآيات و تلك. فأمّا الذين في قلوبهم زيغ و انحراف و ضلال على سواء الفطرة . فيتركون الأصول الواضحة الدقيقة التي تقوم عليها العقيدة و الشريعة و المنهاج العملي للحياة . و يجرون وراء المتشابه الذي يعول في تصديقه على الإيمان بصدق مصدره. و التسليم بأنّه هو الذي يعلم الحق كلّه . بينما الادراك البشري نسبي محدود المجال . كما يعول فيه على استقامة الفطرة التي تدرك بالالهام المباشر صدق هذا الكتاب كله , و أنّه نزل بالحق لا يأتيه الباطن من بين يديه و لا من خلفه .. يجرون وراء المتشابه لأنهم يجدون فيه مجالا لإيقاع الفتنة بالتأويلات المزلزلة للعقيدة , و الاختلافات التي تنشأ عن بلبلة الفكر نتيجة اقتحامه فيما لا مجال للفكر في تأويله .. ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾

وأمّا الراسخون في العلم , الذين بلغ من علمهم أن يعرفوا مجال العقل و طبيعة التفكير البشري , و حدود المجال الذي يملك العمل فيه بوسائله الممنوحة له .. أمّا هؤلاء فيقولون في طمئنينة وثقة : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾. يدفعهم إلى هذه الطمئنينة أنّه من عند ربّهم فهو إذن حق و صدق , و ما يقرر الله صادق بذاته, وليس من وظيفة العقل البشري ولا في طوقه أن يبحث عن أسبابه و علله. كما أنّه ليس في طوقه أن يدرك ماهيته و طبيعة العلل الكامنة وراءه[1].

[1] سيد قطب , في ظلال القرآن ,ص 23.

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ و كأنّه بين ألي الألباب و ادراك الحق إلا أن يتذكروا .. فإذا الحق المستقر في فطرتهم الموصولة بالله , ينبض و يبرز و يتقرر في الألباب .

عندئذ تنطق ألسنتهم و قلوبهم في دعاء خاشع و في ابتهال منيب : أن يثبتهم على الحق . و ألّا يزيغ قلوبهم بعد الهدى و أن يسبغ عليهم رحمته و فضله .. و يتذكرون يوم الجمع الذي لا ريب فيه و الميعاد الذي خلق له :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[1] هذا هو حال الراسخين في العلم مع ربّهم , و هو الحال اللائق بالايمان المنبثق من الطمئنينة لقول الله و وعده و الثقة بكلمته و عهده, و المعرفة و فضله , و الاشفاق مع هذا من قضائه المحكم و قدره المغيب و التقوى و الحساسية و اليقظة التي يفرضها الايمان على قلوب أهله. فلا تغفل أو تغتر أو تنسى في ليل أو نهار..

و القلب المؤمن يدرك قيمة الاهتداء بعد الضلال . قيمة الرؤية الواضحة بعد الغبش, قيمة الاستقامة على الدرب بعد الحيرة, قيمة الطمئنينة للحق بعد الأرجحة , قيمة التحرر من العبودية للعبيد بالعبودية لله وحده . و في بشاشة الايمان حلاوة لا يدركها إلّا من ذاق جفاف الالحاد و شقاوته المريرة ![2] و من ثمّ يتجه المؤمنون إلى ربّهم بذلك الدعاء الخاشع :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[3] .. و ينادون رحمة الله التي أدركتهم مرّة بالهدى بعد الضلال , و وهبتهم هذا العطاء الذي لا يعدله عطاء :

[1] سورة آل عمران الآية 8 – 9.

[2] سيد قطب , في ظلال القرآن,ص 24.

[3] سورة آل عمران الآية 8.

﴿ وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾[1] وهم بوحي إيمانهم يعرفون أنّهم لا يقدرون على شيء إلّا بفضل الله و رحمته , و أنّهم لا يملكون قلوبهم فهي في يد الله , فيتوجهون اليه بالدعاء أن يمدهم بالعون و النجاة.

و متى استشعر القلب المؤمن وقع المشيئة على هذا النحو لم يكن أمامه إلّا أن يلتصق بركن الله في حرارة و أن يتشبث بحماه في إصرار. و أن يتجه اليه يناشده رحمته و فضله لاستبقاء الكنز الذي وهبه والعطاء الذي أولاه ![2]

و بهذا الحديث المفصّل الذي قدّمه سيد قطب فيما يخصّ مواضيع الآيات الأولى من السورة تبين لنا بأنّها متناسبة فيما بينها و تمثل كيانا متكاملا و متحدا , بحيث أنّ سيد عندما يبدأ في تفسير الآية يربط موضوعها بالآية التي سبقتها. فمثلا الآية الثانية موضوعها توحيد الملك و الألوهية لله وحده لا شريك له:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[3] ثمّ الآية التي تليها موضوعها توحيد الجهة التي تتنزّل منها الكتب على الرسل وهي من الله الإله الأحد الصمد : ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾[4] هنا يظهر التسلسل المتكامل المترابط! كيف لا وهو إعجاز الله جلّ في علاه سبحانه ؟!!

نعم هكذا كان منهج سيد قطب الرابط بين تفسير الآيات بعضها مع بعض , ومنه نستنتج أنّه لا يمكن تفسير الآيات إلّا بالنظر إلى هذه العلاقة التناسبية المترابطة

[1] سورة آل عمران الآية 8.

[2] سيد قطب , في ظلال القرآن ,ص 25.

[3] سورة آل عمران الآية 2.

[4] سورة آل عمران الآية 3.

المطلب الثالث : تناسب الآيات في سورة الأنعام

إنّ آيات سورة الأنعام متناسقة فيما بينها .كما ذكر ذلك سيد قطب . و هي تعرض في جملتها " حقيقة الألوهية" تعرضها في مجال الكون و الحياة كما تعرضها في مجال النفس و الضمير, وتعرضها في مجاهيل هذا الكون المشهود. كما تعرضها في مجاهيل ذلك الغيب المكنون, و تعرضها في مشاهد النشأة الكونية و النشأة الإنسانية كما تعرضها في مصارع الغابرين و استخلاف المستخلفين ..

و سنعرض بإذن الله في هذا المطلب نموذج من هذا التناسق و ذلك في الآيات الثلاثة من هذه السورة:

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِی خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِینَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ یَعۡدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِی خَلَقَكُم مِّن طِینٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِی ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِی ٱلۡأَرۡضِۖ یَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَیَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾[1] .

یوضّح سید قطب بأنّ هذه الآيات متناسبة فيما بينها وتحمل موضوعا واحدا و هو الألوهية في الكون والإنسانية.

يقول : " إنّها اللمسات العريضة للحقيقة الكبيرة . و الايقاعات المديدة في مطلع السورة و هي ترسم القاعدة الكلية لموضوع السورة و لحقيقة العقيدة : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِی خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِینَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ یَعۡدِلُونَ ﴾[2] .

إنّها اللمسات الأولى .. تبدأ بحمد الله . ثناء عليه و تسبيح له , و إعترافا بأحقيته للحمد و الثناء على ألوهيته المتجلية في الخلق و الإنشاء .. بذلك تصل بين الألوهية المحمودة و خصيصتها الأولى ..

[1] سورة الأنعام الآية 1 – 3.

[2] سورة الأنعام الآية 1.

الخلق .. و تبدأ بالخلق في أضخم مجالي الوجود .. السموات و الأرض .. ثمّ في أضخم الظواهر الناسئة عن خلق السموات[1] و الأرض وفق تدبير مقصود .. الظلمات و النور .. فهي اللمسة العريضة التي تشمل الأجرام الضخمة في الكون المنظور و المسافات الهائلة بين تلك الأجرام و يرون صفحة الوجود الضخمة الهائلة الشاملة الناشئة عن دورتها في الأفلاك .. و الله لتعجب من قوم يرون صفحة الوجود الوجود الضخمة الهائلة الشاملة تنطق بقدرة الخالق العظيم كما تنطق بتدبيره الحكيم وهم بعد ذلك لا يؤمنون و لا يوحدون و لا يحمدون بل يجعلون لله شركاء يدلونه به و يساوونه : ﴿ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾[2].

فيا للمفارقة الهائلة بين الدلائل الناطقة في الكون , و آثارها الضائعة في النفس ! يا للمفارقة التي تعدل الأجرام الضخمة و المسافات الشاسعة و الظواهر الشاملة .. بل تزيد ..

و اللمسة الثانية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾[3]

إنّها لمسة الوجود الإنساني , التالي في وجوده للوجود الكوني و لظاهرتي الظلمات و النور لمسة الحياة الإنسانية في هذا الكون الخامد , لمسة النقلة العجيبة من عتمة الطين المظلم إلى نور الحياة البهيج ؛ تتناسق تناسقا فنيا جميلا مع الظلمات و النور و إلى جانبها لمسة أخرى متداخلة :لمسة الأجل الأول المقضى للموت و الأجل المسمّى للبحث , لمستان متقابلتان في الهمود و الحركة كتقابل الطين الهامد و الخلق الحي في النشأة . و بين كل متقابلين مسافة هائلة في الكنه و الزمن ..

و كان من شأن هذا كلّه أن ينتقل إلى القلب البشري اليقين بتدبير الله و اليقين بلقائه و لكن المخاطبين بالسورة يشكون في هذا و لا يستيقنون : ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾ .

[1] سيد قطب, في ظلال القرآن, ج 6 , دار الشروق , مصر, ط 31, 2011, ص 31.

[2] سورة الأنعام الآية 1.

[3] سورة الأنعام الآية 2.

و اللمسة الثالثة تضمّ اللمستين الأولى و الثانية . وهنا يظهر التناسب و التكامل جليّا . في إطار واحد , و تقرر ألوهيّة الله في الكون و الحياة الإنسانية سواء :

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾[1]

إنّ الذي خلق السموات و الأرض هو الله في السموات و في الأرض هو المتفرّد بالألوهيّة فيهما على السواء , و كلّ مقتضيات الألوهية متحققة عليهما , من خضوع للناموس الذي سنّه الله لهما و ائتمار بأمره وحده[2] , كذلك ينبغي أن يكون الشأن في حياة الانسان , فقد خلقه الله كما خلق السموات و الأرض و هو في تكوينه الأول من طين هذه الأرض و ما رزقه من خصائص جعلت منه إنسانا رزقه ايّاه الله . و هو خاضع من ناحية كيانه الجسمي للناموس الذي سنّه الله له . رضي أو كره . يعطى وجوده و خلقه ابتداء بمشيئة الله لا بمشيئته هو و لا بمشيئة أبيه وأمه : فهما يلتقيان و لكن لا يملكان أن يعطيا جنينا وجوده ! و هو يولد وفق الناموس الذي وضعه الله لمدّة الحمل و ظروف الولادة ! و هو يتنفّس هذا الهواء الذي أوجده الله بمقاديره هذه و يتنفسه بالقدر و الكيفية التي أرادها الله له و هو يحسّ و يتألّم و يجوع و يعطش و يأكل و يشرب .. و بالجملة يعيش .. وفق ناموس الله . على غير إرادة منه و لا إختيار .. شأنه في هذا شأن السموات و الأرض, و الله . سبحانه . يعلم سرّه و جهره , و يعلم ما يكسب في حياته في سرّه و جهره .

و الأليق به أن يتبع . إذن . ناموس الله في حياته الإختياريّة . فيما يتخذه من تصوّرات اعتقادية و قيم اعتباريّة , و أوضاع حيوية لتستقيم حياته الفطريّة المحكومة بناموس الله مع حياته الكسبية حين تحكمها شريعة الله و لكي لا يناقض بعضه بعضا و لا يصادم بعضه بعضا ؛ و لا يتمزّق تمزقا بين ناموسين و شرعين : أحدهما إلهي و الآخر بشري و ما هما بسواء[3] ..

---

[1] سورة الأنعام الآية 3.

[2] سيد قطب, في ظلال القرآن , ص32.

[3] المرجع نفسه , ص 33 .

ثلاث آيات تذرع الوجود الكوني كلّه في الآية الأولى , و تذرع الوجود الإنساني كله في الآية الثانية .. ثمّ تحيط الألوهية بالوجودين كليهما في الآية الثالثة !أي اعجاز ! و أي روعة ! و أي شمول ! و أي احاطة ! [1]".

وختاما ومن خلال هذا الشرح الوافي الذي قدّمه سيد قطب بخصوص هذه الآيات المتناسبة المتناسقة فيما بينها و المكمّلة لبعضها . فالأولى كما قال قطب تُظهر الوجود الكوني و الثانية الوجود الإنساني , وفي الثالثة توضيح لإحاطة الألوهية بهذين الوجودين .. و هذه العلاقة التكاملية المتناسقة بين هذه الآيات الثلاث يظهر أثرها جليّا في تفسيرها , بحيث تُفسّر الآيات بوجود هذه العلاقة بشكل أوضح و أدقّ و أشمل و أكمل .

[1] المرجع نفسه, ص 23.

المبحث الرابع: تناسب مفاتيح سور ربع البقرة مع خواتيمها

إنّ للتناسب أوجه أخرى بالإضافة للأوجه التي تعرّفنا عليها , منها تناسب بداية السورة مع نهايتها, ومن بين السور التي احتوت على هذا التناسب و التي سنعرضها في هذا المبحث سورتي البقرة و آل عمران.

احتوى هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: تناسب بداية سورة البقرة مع ختامها

المطلب الثاني: تناسب بداية سورة آل عمران مع ختامها

المطلب الأول : تناسب بداية سورة البقرة مع ختامها

إنّ سورة البقرة شأنها شأن سائر سور القرآن الكريم, الآيات المفتتحة بها تناسب الآيات المختتمة بها, وقد وضّح ذلك سيد قطب في تفسيره(الظلال), وتطرقنا اليه في هذا المطلب:

1)بداية سورة البقرة:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[1].

2)ختامها:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

يقول سيد قطب: "هذا ختام السورة الكبيرة.. الكبيرة بحجمها التعبيري اذ هي أطول سور القرآن, و الكبيرة بموضوعاتها التي تمثل قطاعا ضخمًا رحيبا من قواعد التصور الإيماني و صفة الجماعة المسلمة , و منهجها و تكاليفها, و موقفها في الأرض و دورها في الوجود ؛ و موقف أعدائها

[1] سورة البقرة الآية 1-4

[2] سورة البقرة الآية 285-286

المناهضين لها, و طبيعتهم و طبيعة وسائلهم في حربها ؛ و وسيلتها هي في دفع غائلتهم عنها من جهة, و توقي مصيرهم المنكود من جهة أخرى.. كما شرحت السورة طبيعة دور الإنسان في الأرض وفطرته و مزالق خطاه, ممثلة في تاريخ البشرية و قصصها الواقعي..

هذا ختام السورة الكبيرة.. في آيتين اثنتين.. و لكنهما تمثلان بذاتهما تلخيصا وافيا لأعظم قطاعات السورة, يصلح ختاما لها , ختاما متناسقا مع موضوعاتها و جوّها وأهدافها".

لقد بدأت السورة بقوله تعالى:﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾[1]

و ورد في ثناياها إشارات لهذه الحقيقة، وبخاصة حقيقة الإيمان بالرسل جميعا.. وها هي ذي تختم بقوله تعالى[2]:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[3].

و هو ختام يتناسق مع البدء كأنهما دفتا كتاب !!

[1] سورة البقرة الآية 1-4

[2] سيد قطب,في ظلال القرآن,ج1,383.

[3] سورة البقرة الآية 285-286

وقد حوت السورة الكثير من تكاليف الأمّة الإسلامية، و تشريعاتها في شتّى شؤون الحياة.. كما ورد فيها الكثير عن نكول بني إسرائيل عن تكاليفهم و تشريعاتهم.. وفي ختامها يجيء هذا النص المفصح عن الحدّ الفاصل بين النهوض بالتكاليف والنكول عنها، المبيّن أنّ الله سبحانه لا يريد إعنات هذه الأمّة و لا إثقالها, وأنّه كذلك لا يُحابيها .كما زعمت اليهود عن ربّها . و لا يتركها سدى :﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴾. وقد تضمّنت السورة بعض قصص بني إسرائيل، وما أنعم الله عليهم به من فضل و ما قابلوا به هذا الفضل من جحود, و ما كلّفهم من كفارات بلغ بعضها حدّ القتل :﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[1] وفي ختامها يرِد ذلك الدعاء الخاشع من المؤمنين :

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ ﴾.

وقد فُرِض في السورة على المؤمنين القتال, و أُمروا بالجهاد و الإنفاق في سبيل الله لدفع الكفر و الكافرين.. وهي تُختم بإلتجاء المؤمنين إلى ربّهم يستمدّون منه العون على ما كلّفهم, و النصر على عدوّهم:﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ إنّه الختام الذي يُلخص و يشير و يتناسق مع خط السورة الأصيل.

و في هاتين الآيتين كلُّ كلمة لها موضعها ولها دورها ,و لها دلالتها الضخمة, و هي قائمة في العبارة لتمثيل ما ورائها من حقائق العقيدة..من طبيعة الإيمان من هذا الدين و خصائصه و جوانبه. ومن حال المؤمنين به من ربّهم, و تصورهم لما يريده سبحانه بهم, و بالتكاليف التي يفرضها عليهم

[1] سورة البقرة الآية 54

و من إلتجائهم إلى كنفه و إستسلامهم لمشيئته و إرتكانهم إلى عونه..نعم.. كلّ كلمة لها دورها الضخم بصورة عجيبة ![1] ".

وهكذا يظهر لنا جليّا أنّ التناسب كان له أثر واضح في تفسير السورة بكاملها من أولها الى آخرها, فكانت البداية مجملة لمضمون السورة ثم كانت السورة موضوع التفصيل و البيان و التوضيح ثم جاءت الخاتمة كملخص لِما أُجمل و فُصِّل في السورة, فكان لكل مقطع منها علاقة بما جاء فيها و لذا لا يمكن أن تُفسَّر السورة إلاّ بالنظر لهذه العلاقة التناسبيّة.

[1] سيد قطب,في ظلال القرآن,ج1,ص384.

المطلب الثاني: تناسب بداية سورة آل عمران مع ختامها

سورة آل عمران كذلك تتناسب بدايتها مع نهايتها تناسب عجيب! و سنبيّن ذلك بإذن الله في هذا المطلب:

1)بداية سورة آل عمران:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ

كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ
ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ
وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ
قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ
وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ
ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن
تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ
فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا
لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ
كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟

لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾[1].

2)ختامها:

﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

[1] سورة آل عمران الآية 1-32

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[1].

يقول سيد قطب فيما يخصّ بداية السورة: "هذا الدرس منذ ابتدائه تحديد لمفرق الطريق بين عقيدة التوحيد الخالصة الناصعة و الشبهات و الانحرافات و تهديد لمن يكفر بالفرقان و آيات الله فيه

[1] سورة آل عمران الآية 190-200

و اعتبارهم كفارا و لو كانوا من أهل الكتاب! و بيان لحال المؤمنين مع ربهم و موقفهم مما ينزل على رسله . و هو بيان يحدد الموقف و يحسمه : فالإيمان علاماته التي لا تخطئ و للكفر علاماته التي لا شبهة فيها "[1].

ثمّ ذكر سيد قطب فيما يخص الآيات المختتمة بها السورة: "هذا هو الدرس الأخير في السورة التي ضمّت ذلك الحشد الضخم الذي تضمنته السورة :من مقومات التصور الإسلامي, و تقرير هذه المقومات و تجلياتها من الغبش و اللبس في الجدل مع أهل الكتاب, ثمّ في الجدل مع المنافقين و المشركين ,و بيان طبيعة هذا المنهج الإلهي و تكاليفه في الأنفس و الأموال .و تعليم الجماعة المسلمة كيف تنهض بهذه التكاليف و الأموال.. إلى آخر ما ضمّه سياق السورة المستعرض في الظلال..

فالآن يجيء هذا الإيقاع الأخير في السورة متناسقة في موضوعها و في أسلوبها مع ذلك الحشد من الإيقاعات من ناحية و من ناحية الأداء.

و عطفا على الحديث الطويل في السورة عن أهل الكتاب و مواقفهم من المؤمنين, يرد هنا في هذا القطاع الأخير ذكر الفريق المؤمن و جزائه المناسب, و يبرز من صفاتهم صفة الخشوع, التي تتناسق مع مشهد ﴿ أولي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ أمام كتاب الكون المفتوح, و دائهم الخاشع المنيب, و صفة الحياء من الله أن يشتروا بآياته ثمنا قليلا، كأولئك الذين كفروا من أهل الكتاب الذين تقدّم وصفهم في هذه السورة، ثمَّ تجيء الآية الخاتمة تلخص التوجيهات الإلهية للجماعة المسلمة , و تمثل خصائصها المطلوبة , و تكاليفها المحددة, والتي يكون بها الفلاح :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ وهو ختام يناسب محور السورة الأصيل، و موضوعاتها الرئيسية, و يتسق معها كل الإتساق[2].

[1] سيد قطب, في ظلال القرآن,ج2,ص10.

[2] المرجع نفسه,ص11.

ما الآيات في خلق السماوات و الأرض و إختلاف الليل و النهار؟ و ما الآيات التي تتراءى لأولي الألباب عندما يتفكرون في خلق السموات و الأرض و إختلاف الليل والنهار، وهم يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم ؟ و ما علاقة التفكّر في هذه الآيات بذكرهم الله قياما و قعودا و على جنوبهم ؟ و كيف ينتهون من التفكر فيها أي ها الدعاء الخاشع الواجف :﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ إلى نهاية ذلك الدعاء؟ . إنّ التعبير يرسم هنا صورة حية من الإستقبال السليم للمؤثرات الكونية في الإدراك السليم , و صورة حية من الاستجابة السليمة لهذه المؤثرات المعروضة للأنظار و الأفكار في صميم الكون بالليل و النهار[1].

من خلال حديث سيد قطب عن تناسب و تكامل ختام سورة آل عمران مع بدايتها و موضوعها بشكل عام، يظهر لنا بوضوح أثر هذا التناسب في تفسير السورة , فعندما يظهر تناسب و إتحاد موضوعات السورة بالتأكيد سيعمل ذلك على تفسير السورة بشكل أوضح و أسهل.

[1] المرجع نفسه, ص13.

خاتمة

وفي الأخير وبعد دراستنا لهذا الموضوع وصلنا إلى عدّة نتائج أهمّها:

– أنّ التناسب يجعل من القرآن الكريم كتلة واحدة مترابطة فيما بينها.

– يوجد للتناسب عدّة أوجه لعلّ من أهمّها وأبرزها ما تطرّقنا إليها في بحثنا هذا وهي : التناسب بين موضوعات السورة الواحدة وهذا يكون بربط مواضيع السورة وجعلها تحت أصل واحد يحمل غاية . أمّا النوع الثاني فهو التناسب بين آيات السورة ويكون بربط آيات السورة ببعضها البعض ويكون موضوعها واحد.أمّا النوع الأخير الذي تطرّقنا اليه هو تناسب بداية السورة مع نهايتها وذلك بربط البداية والنهاية ويكون فيها علاقة وطيدة تجمع بينهما.

– أنّ التفسير بالتناسب يساعدنا في فهم مقاصد القرآن الكريم ومعرفة الهدف الذي جاء القرآن لتحقيقه .

– من خلال تطبيق التناسب في أنموذج من سور القرآن الكريم وهي سور ربع البقرة توصّلنا إلى أنّ للقرآن هدف سامي وغاية نبيلة يريد إيصالها للقارئ والمتدبّر في هذا الكتاب العظيم ألا وهي إيصال الدين الصحيح للمسلم وربط كلّ ما يقوم به المسلم في حياته اليومية بالدين الإسلامي وأنّ كلّ شيء يقوم به بالوجه الصحيح يحتسب عبادة عند الله وأنّ كل مخالفة لأوامر الله في اتّباعها يحاسب عليها المسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، الجزء 5 ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل -بيروت، ط/1 1411 هـ / 1991 م.
2. أبو الفيض مرتضى ، الزَّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الجزء 4 ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية.
3. أحمد عمر أبو شوفة ، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ، دار الكتب الوطنية – ليبيا ، عام النشر: 2003.
4. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، الجزء 3 ، عالم الكتب ، ط/1، 1429 هـ - 2008 م .
5. بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، الجزء 1 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط/1 ، 1376 هـ - 1957 م.
6. بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن.
7. جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن .الجزء 3 ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة : 1394 هـ/ 1974 م .
8. الزَّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس .
9. سيد قطب, في ظلال القرآن ,تح علي بن نايف الشحود , ج3, دار الشروق , مصر,ط 31 , 2011 ,
10. صلاح عبد الفتاح الخالدي, مدخل إلى ظلال القرآن,دار عمّار(الاردن),ط2, 1421هـ-2000م.
11. عبد الله عزام,عملاق الفكر الاسلامي(الشهيد سيد قطب),مركز شهيد عزام الاسلامي, بيشاور(باكستان),ط1.
12. علي إبراهيم سعود عجين ، التناسب في صحيح الإمام البخاري ، جامعة آل البيت ، المفرق ، المملكة الأردنية ، 2010م.

13. محمد بن علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، الجزء 2 ، تقديم وإشراف ومراجعة : رفيق العجم الترجمة الأجنبية: جورج زيناني ، تحقيق: علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ط/1 – 1996م.

14. محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي.

15. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ،الجزء 1 ، دار صادر – بيروت ، ط/1 . والزَّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس.

16. محمد فاروق النبهان . المدخل إلى علوم القرآن الكريم ، دار عالم القرآن – حلب . ط/1 ، 1426 هـ – 2005م.

17. مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، دار القلم ، دمشق ، ط/2 ، 1418هـ / 1997م.

18. مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ط/2 ،1421هـ – 2000م.

19. نشوان بن سعيد الحميرى اليمني ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، الجزء 10 ، تحقيق : حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر (دمشق) ، ط/1، 1420 هـ – 1999 م.

فهرس المحتويات :

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ–هـ
مبحث تمهيدي : تعريف بمفردات العنوان	
المطلب الأول : تعريف التناسب	8
المطلب الثاني : أنواع التناسب	11
المطلب الثالث : التعريف بكتاب في ظلال القرآن و صاحبه	15
المبحث الثاني : تناسب موضوعات سور ربع البقرة	
المطلب الأول : تناسب موضوعات سورة آل عمران	20
المطلب الثاني : تناسب موضوعات سورة النساء	25
المطلب الثالث : تناسب موضوعات سورة المائدة	28
المطلب الرابع : تناسب موضوعات سورة الأنعام	31
المبحث الثالث : تناسب آيات سور ربع البقرة	
المطلب الأول : تناسب آيات سورة البقرة	35
المطلب الثاني : تناسب آيات سورة آل عمران	39
المطلب الثالث : تناسب آيات سورة الأنعام	50
المبحث الرابع : تناسب مفاتيح سور ربع البقرة مع خواتيمها	
المطلب الأول : تناسب بداية سورة البقرة مع ختامها	55
المطلب الثاني : تناسب بداية سورة آل عمران مع ختامها	59
خاتمة :	65
قائمة المصادر و المراجع :	66
فهرس المحتويات :	68